مجلة كلية الدعوة الإسلامية

العدد الثامن عشر
2001

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1369 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم 2001 من ميلاد المسيح عليه السلام

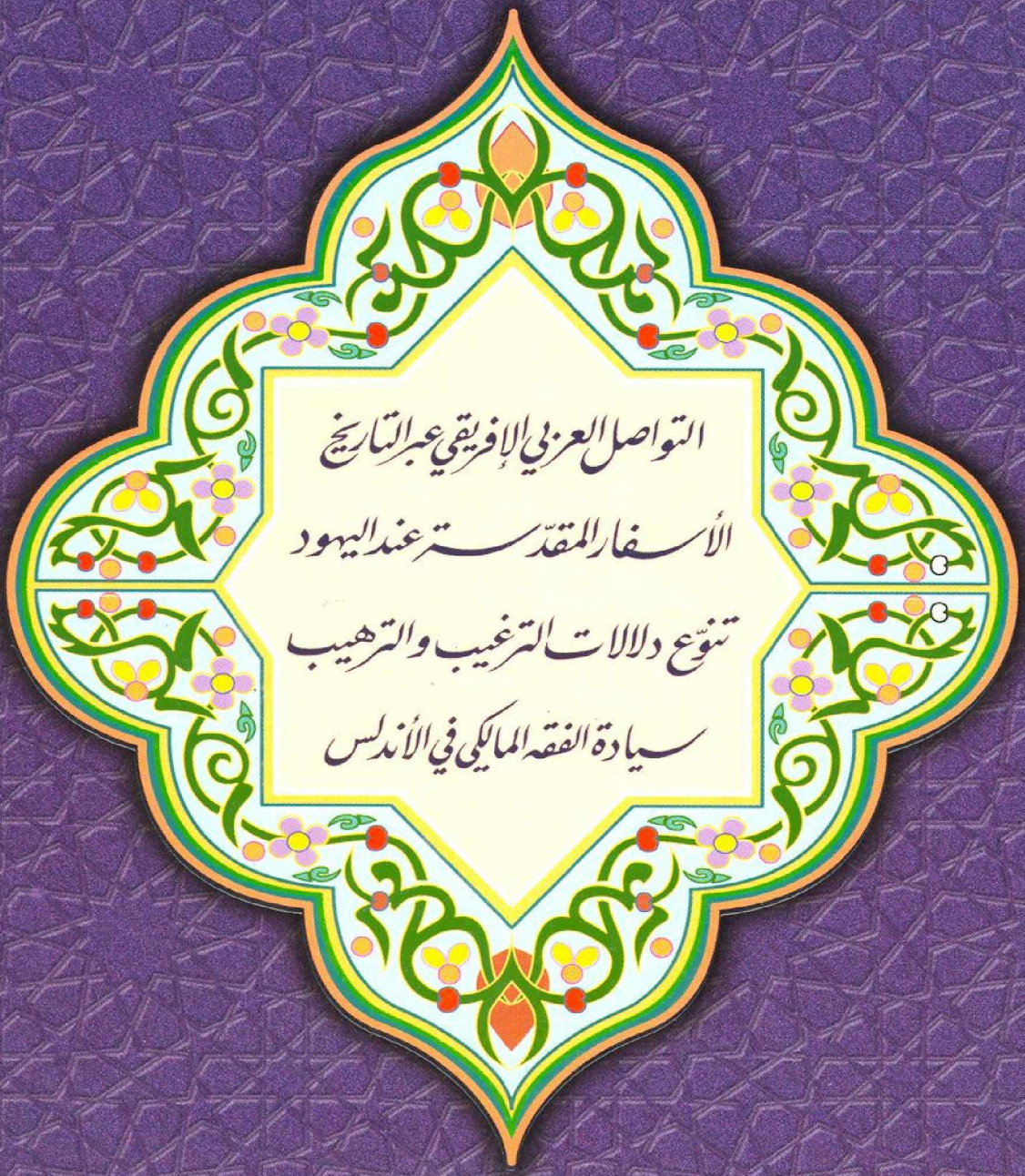

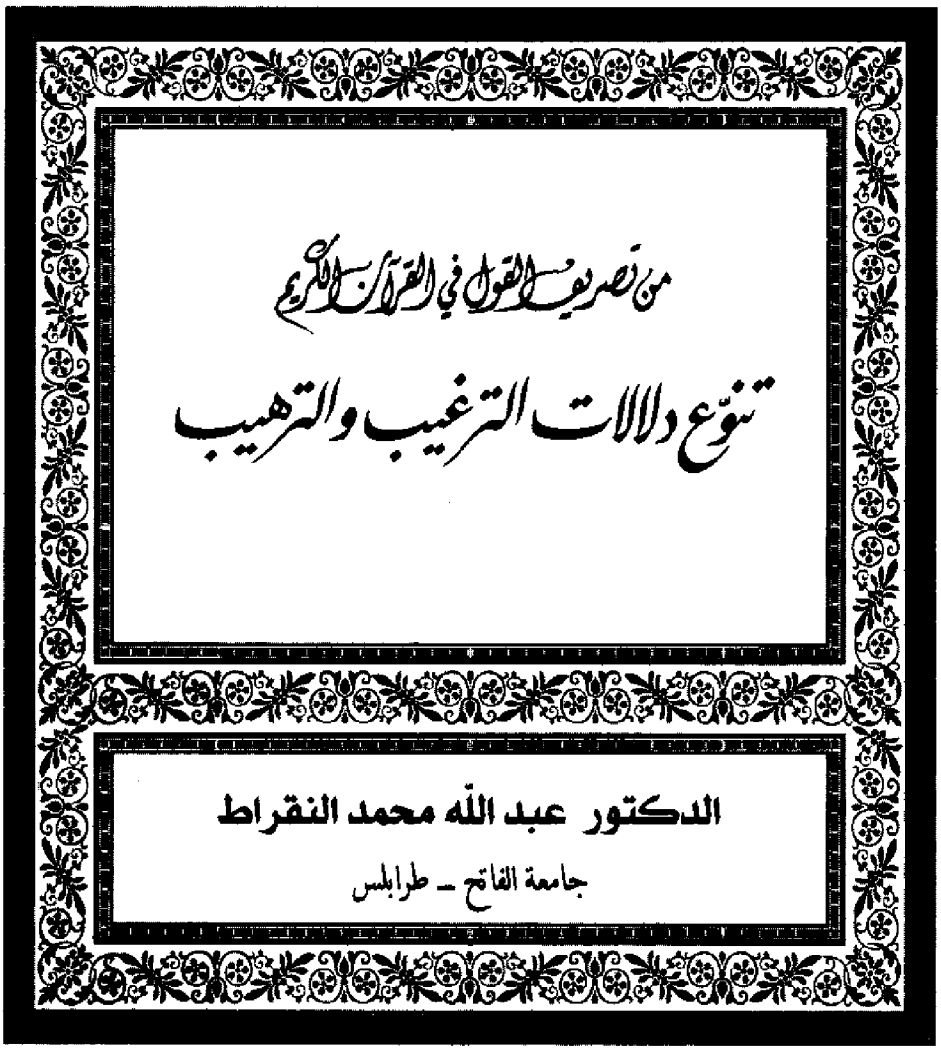

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد، فقد اخترت الكتابة في موضوع: تنوع دلالات الترغيب والترهيب في القرآن الكريم؛ لما لهذا الموضوع من أهمية عظيمة في مجال الدراسات القرآنية؛ ولتوضيح مصطلح التصريف القرآني، الذي نص عليه الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه العزيز، في غير ما أية فيه، إذ قال الله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾[1] وقال الله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[2] إلى غيرهما من الآيات الدالة على التصريف القرآني.

(1) (2) سورة الأنعام، الآية: 46، 65.

وقد تبيّن لي أن هذا الموضوع جدير بالدراسة حقاً، وبخاصة أنني لم أجد من خص هذا الموضوع بالدراسة التي تبرز خصائصه المعنوية والأسلوبية، بل اتجهت دراستهم نحو توجيه هذه الآيات بالتكرار، ولم ينتبهوا إلى المصطلح الصحيح الذي كان عليهم أن يوجهوا الآيات خلاله.

إن هذا البحث يتناول جانباً مهماً من جوانب الدراسات القرآنية والبلاغية، ألا وهو تنويع الدلالات والأساليب الدالة على الترغيب والترهيب في القرآن الكريم.

إن هذا التنوع لم يقف عنده أحد ـ حسب علمنا ـ عدا ما أشار إليه بعض المفسرين، عند تفسيرهم الآيات التي يرون أن فيها ترغيباً وترهيباً، ولم يشيروا إلى هذا التنوع البياني ومقاصده في القرآن الكريم، وحيث إن المقام لا يتسع لدراستها جميعاً، فإنا سنقتصر في هذا البحث على تنوع الدلالات، وسنفرد ـ إن شاء الله تعالى ـ المقاصد والأساليب ببحث خاص.

وقد أشار إلى هذه الدلالات وتنوعها صاحب «مناهل العرفان» فقال: «ولسنا بحاجة أن نلتمس شواهد الترغيب والترهيب من الكتاب والسنة، فمددها فياض بأوفى ما عرف العلم من ضروب الترغيب والترهيب، وفنون الوعد والوعيد، وأساليب التبشير والإنذار على وجوه مختلفة، واعتبارات متنوعة، في العقائد والعبادات والمعاملات، والأخلاق على السواء»[3].

وقد استعمل القرآن الكريم الترغيب والترهيب لتأثيره في النفوس البشرية، وما يتركه هذا التأثر من ثبات الأوامر والنواهي ـ واستقرارها في الذهن، وانتقاشها في صحيفة الفكر، ثم اندفاع الإنسان من ورائها إلى العمل والاتباع[4].

ومن ثم فإن هذه الدراسة ستبين دلالات الترغيب والترهيب في القرآن الكريم وتنوعها.

---

(3) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت 1408هـ/ 1988. 1/ 308.

(4) نفسه ص 309.

إن المتتبع لهذه الدلالات في القرآن الكريم يجدها قد تنوعت تنوعاً بديعاً، إذ صرفها بطرائق شتى، وأساليب مختلفة، غاية في الإعجاز والبيان.

إن تنوع هذه الدلالات يرجع إلى تنوع المقاصد التي تحققها هذه الدلالات، وإلى مقتضيات الأحوال، وأسباب النزول.

وقد أشار الشاطبي إلى الطريقة التي سلكها القرآن الكريم في إيراد بعض هذه الدلالات، فقال: «إنه إذا ورد في القرآن الترغيب قارنه الترهيب في لواحقه أو سوابقه، أو قرائنه، وبالعكس، وكذلك الترجية مع التخويف، وما يرجع إلى هذا المعنى مثله، ومنه ذكر أهل الجنة يقارنه ذكر أهل النار، وبالعكس لأن في ذكر أهل الجنة بأعمالهم ترجية، وفي ذكر أهل النار بأعمالهم تخويفاً، فهو راجع إلى الترجية والتخويف»[5].

«وقد يغلب أحد الطرفين بحسب المواطن ومقتضيات الأحوال، فيرد التخويف، ويتسع مجاله لكنه لا يخلو من الترجية»[6].

وقد تنوعت هذه الدلالات في القرآن الكريم كثيراً ـ وبخاصة في السور المكية ـ لأن المرحلة المكية تتطلب مثل هذا الأسلوب ترغيباً وترهيباً، ترغيباً للمسلمين في اتباع الدين والعمل بما فيه، واجتناب نواهيه، وتسلية لهم، عما يصيبهم من الأذى، وترهيباً للكافرين على عدم اتباعهم الرسول محمد ﷺ لأن عدم اتباعه والإيمان بدعوته يعرض صاحبه لما تعرض له المكذبون الأولون.

وفي هذا الأسلوب كذلك تحذير لأهل الكتاب الموجودين في زمن النبي ﷺ من نزول العذاب بهم، كما نزل بأسلافهم[7].

وقد استعمل القرآن الكريم من تصريف بيانه، بعض الدلالات الدالة على الترغيب والترهيب، ونعني بذلك الوعد والوعيد، والبشارة والنذارة، وبعض

---

(5) الموافقات لأبي إسحاق الشاطبي، شرح عبد الله دراز، ضبط وترقيم محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، د ت، 3/ 358.

(6) نفسه ص 360.

(7) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط الثالثة 1400هـ/ 1980م 3/ 29.

الألفاظ التي لها دلالات تفيد الترغيب والترهيب، مثل لفظ (سوف) ولفظ (ويل) ولفظ (كلا).

وسأضرب بعض الأمثلة تميط اللثام عن هذه الدلالات من الجانب التطبيقي من أجل الوقوف على طريقة القرآن في تصريفها.

لقد تفنن القرآن الكريم وأبدع في تصريف هذه الدلالات؛ لتحقيق مقاصده المختلفة، ترغيباً وترهيباً، فهو ينوع هذه الدلالات تنويعاً بديعاً، فيستعمل كلا منها في موضعه. إذ نجده يستعمل الوعد والوعيد ويقرنهما معاً في سياق واحد مقابلاً بينهما، وأحياناً يأتي بأحدهما دون الآخر، حسب المقام ومقتضيات الأحوال، وتارة يأتي بالبشارة ويقرنها بالنذارة، وأحياناً يذكر البشارة في سياق خاص وتفهم النذارة ضمناً، وبالعكس، إلى غير ذلك من الدلالات التي صرف القرآن الكريم بيانها في الترغيب والترهيب، والتي سيأتي الحديث عنها في هذا البحث.

ونود فيما يلي أن نتوقف إزاء كل دلالالة من هذا الدلالات كي نستلهم بعض ما تفيض به تجلياتها في البيان القرآني من قيم وأسرار بديعة.

أولاً ـ الوعد والوعيد:

استعمل القرآن الكريم الوعد والوعيد في مواضع مختلفة إذ يرد الأول دالاً على الترغيب والثاني على الترهيب.

والوعد يكون في الخير والشر، يقال وعدته بنفع وضر وعداً وموعداً وميعاداً، والوعيد في الشر خاصة[8].

والدليل على تصريف القرآن الكريم للوعد والوعيد قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[9].

(8) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د ت. ص 526 مادة: وعد.

(9) سورة طه، الآية: 113.

وقد أشار صاحب «محاسن التأويل» إلى أن تكرير الوعد يدل على الاهتمام بفعل الطاعات ترغيباً في ثوابها، وتكرير الوعيد يدل على الاهتمام بترك المخالفات ترهيباً من عقابها.

وتكرير القرآن بين الوعد والوعيد يدل على الاهتمام بوقوف العباد بين الخوف والرجاء. فلا يقنطوا من رحمة الله وأفضاله، ولا يغتروا بحلمه وإمهاله[10].

لست معه فيما يراه من تكرار الوعد والوعيد، وإنما هو التنويع البديع، والتصريف العجيب، الذي ستكشف عنه هذه الدراسة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وقرر صاحب «العقيدة والفكر الإسلامي» أن هذه الدلالة في حاجة ماسة إلى دراستها، مقسماً إياها إلى نوعين:

الأول: وعيد بالعقاب الدنيوي على غرار ما أصاب الأمم السابقة التي كذبت الرسل.

والثاني: العقاب الأخروي بالنار، وما فيها من آلام.

وآيات الوعد والوعيد كثيرة جداً في السور المكية، وقد استعمل الوعد كما استعمل الوعيد، فوعد الذين آمنوا وعلموا الصالحات بالسعادة الأخروية، وأنذر الذين كفروا بنار جهنم وعذابها، وهذه الآيات الخاصة بالوعد والوعيد كثيرة في القرآن[11].

ومن ثم فإن دراسة هذا المطلب ستكون مقسمة إلى قسمين، ففي القسم الأول نورد بعض الأمثلة الدالة على الوعد، وفي القسم الثاني: الأمثلة الدالة على الوعيد:

1 ـ دلالة الوعد:

نتأمل فيما يلي بعض الأمثلة الدالة على الوعد على سبيل المثال لا

---

(10) محاسن التأويل للقاسمي، دار إحياء الكتب العربية، ط الأولى 1376هـ 1957م، 1/ 257.

(11) العقيدة والفكر الإسلامي محمد هشام سلطان، دار الأمان الرباط، ط الأولى 1407هـ/ 1987م. ص40.

الحصر؛ لنتبين منها طريقة القرآن الكريم في تصريفها، وسنذكر الآيات المتشابهة إلى جانب بعضها لمناقشتها، وذلك لإثبات تصريفها، ونفي التكرار عنها.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[12].

وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[13].

وردت كلمة الوعد في هاتين الآيتين دالة على المثوبة الحسنى، وهي الجنة، لا أحدهما فقط[14] ترغيباً فيما سبقها من أعمال تستحق الثواب.

وبتأمل هاتين الآيتين يتبين لنا أنه لا تكرار فيهما، كما قد يتوهمه بعض من لم يمعن النظر فيهما، وذلك لاختلاف السياق الواردة فيه كل منهما، ولاختلاف أسباب نزولهما، وسوابقهما ولواحقهما؛ ذلك أن هذه الكلمة الدالة على الخيرية في الآية الأولى قد وردت في سياق بيان تفاوت طبقات المؤمنين، بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعدما مر من الأمر به، وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه، ويرتفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع طبقته، والمراد بهم الذين أذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هم القاعدون عن بدر والخارجون إليها، وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول، لا ما روي عن مقاتل من أنهم الخارجون إلى تبوك، فإنه مما لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال، إذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة[15] فقال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ﴾[16].

وأما دلالة الوعد في الآية الثانية فقد وردت في سياق بيان تفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت أحوالهم في الإنفاق بعد بيان أن لهم أجراً كبيراً على

---

(12) سورة النساء، الآية: 95.

(13) سورة الحديد، الآية: 10.

(14) إرشاد العقل السليم لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الرابعة 1414هـ/ 1994م. 2/ 221.

(15) نفسه 2/ 220.

(16) سورة النساء، الآية: 95.

الإطلاق، حثاً لهم على تحري الأفضل، وعطف القتال على الإنفاق للإيذان بأنه من أهم مواد الإنفاق مع كونه في نفسه من أفضل العبادات، وأنه لا يخلو من الإنفاق أصلاً[17]. فقال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾[18].

يتضح لنا أن هاتين الآيتين وإن اتفقتا في نوع الجزاء فقد اختلفتا في تفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجاتهم، واختلاف نوع العمل المستحق عليه الجزاء، الأمر الذي ينفي صفة التكرار عنهما، ويطبعهما بطابع التنويع.

واستعمل القرآن الكريم كلمة الوعد في سورتي المائدة والفتح في سياقين متباينين يتعلق الأول ببيان جزاء المتبعين لأوامر الله ـ تعالى ـ والمجتنبين لنواهيه، فقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[19].

وأما الثاني فيتعلق بالتمثيل الجاري في ذكر الزرع، فقال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[20].

فالآية الأولى وعد للمؤمنين بستر الذنوب عليهم وبالجنة فهي الأجر العظيم، ثم عقب ـ تعالى ـ بذكر حال الكفار ليبين الفرق[21] فقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[22].

لما ذكر ـ تعالى ـ أوامر ونواهٍ، ذكر وعد من اتبع أوامره واجتنب نواهيه، و(وعد) تتعدى لاثنين، والثاني محذوف تقديره الجنة، وصرح بها في غير هذا

---

(17) إرشاد العقل السليم 8/ 206.

(18) سورة الحديد، الآية: 10.

(19) سورة المائدة، الآية: 9.

(20) سورة الفتح، الآية: 29.

(21) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1413هـ/ 1993م، 2/ 166.

(22) سورة المائدة، الآية: 15.

الموضع، والجملة في قوله: ﴿لهم مغفرة﴾ مفسرة لذلك المحذوف تفسير السبب للمسبب؛ لأن الجنة مترتبة على الغفران، وحصول الأجر[23].

وجعل الزمخشري قوله تعالى: ﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ بياناً للوعد بعد تمام الكلام قبله، كأنه قال: قدم لهم وعداً فقيل أي شيء وعده لهم؟ فقيل: لهم مغفرة وأجر عظيم، أو يكون على إرادة القول بمعنى وعدهم، وقال لهم مغفرة، أو على إجراء وعد مجرى قال: لأنه ضرب من القول، أو بجعل وعداً واقعاً على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع[24].

ويورد ابن الزبير فرقاً آخر بين الآيتين، يرجع إلى الضمائر في السياق فقيل في سورة الفتح ﴿منهم﴾ ولم يقل في آية المائدة: ﴿منكم﴾ على مقتضى الخطاب، ولا منهم على الالتفات، ويرجّع سبب هذا التصريف إلى أن آية المائدة لما تقدمها خطاب المؤمنين في قضيتين الأولى منهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[25] والثانية قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾[26].

وقد وقع فيما بين هاتين الآيتين قوله: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[27] ولم يقع أثناء هذه الآية إشارة إلى غيرهم، ولا انجر معهم أحد ممن سواهم... ليكون أبلغ في استحقاقهم ذلك.

وأما آية الفتح فأعقب بها التمثيل في ذكر الزرع في قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ مع أن العلية الموصوفين بقوله: ﴿أَشِدَّآءُ﴾ إلى ما وصفوا به، وعرف أنه مثلهم في التوراة، وأن مثلهم في الإنجيل قد كان كذا، فمع ما وصفوا به قد عاصرهم وكان في أيامهم من عُلِمَ نِفاقة ممن كان يتظاهر بالإيمان ويُسِرُّ الكفر،

---

(23) البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي، دراسة وتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 3/ 14هـ/ 1993م 3/ 455.

(24) الكشاف للزمخشري، دار المعرفة بيروت، د ت، 1/ 598ـ 599.

(25) سورة المائدة، الآية: 6.

(26) سورة المائدة، الآية: 8.

(27) سورة المائدة، الآية: 7.

وقد صاروا معهم بظاهر أمرهم منهم، وأعلم بذلك قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾[28].

وعرَّف ـ سبحانه ـ بأحوالهم وحذر نبيه والمؤمنين منهم، وقد شمل الكل عموم قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ يظاهر الإيمان إذ كانوا يتظاهرون بما وصف به المؤمنون، فجيء هنا بالوعد مخرجاً منه من كان يتظاهر بالإيمان، ويلزق بالمؤمنين وليس منهم، فجيء بقوله: ﴿مِّنْهُمْ﴾ ليحرز هذا المعنى الجليل، (فمِنْ) دالة على التبعيض.

أما آية المائدة فلا يتناول ما قبلها مما ذكر من الآيات غير المخلص في إيمانه لخصوص خطابهم بما لا يتناول غيرهم[29].

يتضح من تباين السياق، وورود الضمير منهم في الفتح، وتركه من المائدة لخصوص الخطاب أنه لا تكرار في هاتين الآيتين، وإنما هو التنويع الذي يرجع إلى مقتضيات الأحوال، وإلى سوابق الآيات ولواحقها.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن الإمام الغزالي نفى في كتابه «جواهر القرآن» نفياً قاطعاً وجود التكرار في القرآن الكريم فقال: «فلا تكرار في القرآن، إذ حد المكرر ما لا ينطوي على مزيد فائدة...

والمقصود أنه لا مكرر في القرآن، فإن رأيت شيئاً مكرراً من حيث الظاهر فانظر في سوابقه ولواحقه، لينكشف لك مزيد الفائدة في إعادته»[30].

يتبين لنا من العرض السابق أن الوعد بالخير ورد في مواضع مختلفة، دالاً على معان مختلفة أيضاً، لا تكرار بين دلالاته المقترن بها، بل نجد تنويعاً بديعاً، ينبئ عن عظمة هذا الكتاب وسر إعجازه، الذي يرجع إلى اختلاف السياق الواردة فيه هذه الدلالة وما بينها من فروق دقيقة تظهر للمتأمل فيها.

---

(28) سورة التوبة، الآية: 56.

(29) ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، تحقيق محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية بيروت 1405هـ/ 1985م. 1/ 239ـ 241.

(30) جواهر القرآن لأبي حامد الغزالي، مكتبة الجندي بمصر، د ت ص 40 ـ 42.

2 ـ دلالة الوعيد:

استعمل القرآن الكريم الوعيد في آيات كثيرة دالاً كل مرة على معنى من معاني العقاب غير التي في غيره من الآيات الأخر.

وقد أشار صاحب «التسهيل لعلوم التنزيل» إلى الطريقة التي سلكها القرآن الكريم في تصريفه الوعيد، فقال: «وأما الوعيد فمنه تخويف بالعقاب في الدنيا، ومنه تخويف بالعقاب في الآخرة، وهو الأكثر كأوصاف جهنم وعذابها، وأوصاف القيامة وأهوالها.

وتأمل القرآن تجد الوعد مقروناً بالوعيد، قد ذكر أحدهما على أثر ذكر الآخر ليجمع بين الترغيب والترهيب؛ وليتبين أحدهما بالآخر، كما قيل: فبضدها تتبين الأشياء»[31].

ونظراً لكثرة الآيات التي تمثل هذه الدلالة فإننا سنكتفي بتقديم أمثلة منها، تثبت تصريفها، وتنفي صفة التكرار عنها، والتي ترجع إلى اختلاف السياق الواردة فيه، وإلى أسباب نزولها، وما بينهما من فروق.

فمن ذلك ما جاء من وعيد في سياق مجادلة هود ـ عليه السلام ـ لقومه، في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[32] دالاً على التعجيز، وتصميمهم على التكذيب بدعوته ـ عليه السلام ـ ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

ولذلك جاء الإخبار بوقوع العذاب نتيجة إصرارهم على العناد والكفر وجدالهم نبيّهم فيما لاحق لهم فيه، فقال الله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾[33].

«وقد جعل الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوعه»[34].

---

(31) التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن جزي، الدار العربية للكتاب، د ت ص6.

(32) سورة الأعراف، الآية: 70.

(33) سورة الأعراف، الآية: 71.

(34) البحر المحيط 4/ 329.

وقد جاءت نظيرتها في سورة الأحقاف في سياق أمر النبي ﷺ أن يذكر لقومه هوداً عليه السلام وإنذاره قومه بالأحقاف، وقد خلت النذر من قبله، ومن بعده، وأمرهم بتوحيد الله وعبادته، وعدم الإشراك به، وتخويفهم من عذاب الله، فقال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[35] دالاً أيضاً على الاستكبار والكفر والتعجيز.

وبتأمل الآيتين الكريمتين يتبين لنا أنه لا تكرار فيهما، وذلك لاختلاف السياق الواردة فيه كل منهما؛ ولاختلاف بعض الدلالات المعنوية، والمفردات اللفظية، التي نلحظها في الآية الأولى في التعبير بقوله: ﴿لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾.

وأما في الآية الثانية فاكتفوا بقولهم: ﴿لتأفكنا عن آلهتنا﴾ إذ جاءت الآية الأولى على سبيل الإطناب، وأما الثانية فيلاحظ عليها الإيجاز، وزيادة المبنى ـ كما يقولون ـ تدل على زيادة المعنى[36].

وأما الملحظ الثاني فهو اختلاف اللواحق، للآيتين، إذ الأولى ألحقت بقوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾.

وأما الثانية فقد ألحقت بقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[37].

وخلاصة القول: إن هذه الفروق التي لاحظناها تكفل نفي التكرار عنهما.

وجاء الوعيد في سياق مجادلة صالح ـ عليه السلام ـ فقال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[38] دالاً على العناد والاستكبار، وإصرارهم على الكفر، ويحمل في ضمنه التعجيز، يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

---

(35) سورة الأحقاف، الآية: 22.

(36) انظر القرآن العظيم هدايته وإعجازه محمد الصادق عرجون، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط الثانية 1410هـ/ 1989م، ص 177.

(37) سورة الأحقاف، الآية: 23.

(38) سورة الأعراف، الآية: 77.

وقد ورد في سورة هود في سياق مجادلة نوح ـ عليه السلام ـ لقومه فقال الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[39] دالاً أيضاً على الكفر والتعجيز.

وتبعه بالوعيد فقال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[40].

إن هذه الآيات وإن اتفقت في بعض معانيها وبعض مفرداتها، فقد اختلفت في بعضها الآخر، الأمر الذي يضفي عليها صفة التصريف وينفي عنها صفة التكرار؛ لأنها جاءت في كل مرة تابعة لسياقها ومحققة لمقاصدها.

يتضح مما سبق أن ما انفردت به كل آية مما لم يرد في غيرها، له دلالة خاصة تميزه عن المعاني الأُخَر.

وقد انتظمت هذه المعاني من خلال فروق يدل عليها السياق.

ومن ثم نستطيع القول: إنه لا يوجد تكرار في هذه الآيات، بل تصريف للبيان القرآني المعجز.

ثانياً ـ دلالة البشارة والنذارة:

استعمل القرآن الكريم دلالة البشارة والنذارة في مواضع متفرقة منه، بطرائق مختلفة، وأساليب شتى.

وقد استعمل البشارة في الترغيب لامتثال ما رغب فيه إن كان خيراً، ولاجتناب ما رهب عنه إن كان شراً، واستعملها أحياناً أخرى في الترهيب على طريق تبكيت المخالفين.

واستعمل النذارة في الترهيب، لاجتناب ما رهب عنه.

---

(39) سورة هود، الآية: 32.

(40) سورة هود، الآية: 33.

ومن ثم فإن الحديث عن هذه الدلالة سيكون مقسماً إلى فقرتين: فالأولى عن البشارة، والثانية عن النذارة.

1 ـ دلالة البشارة وتنوعها:

ونظراً لاستعمال هذه الدلالة في الخير والشر، فإننا سنقدم أمثلة للصنفين على سبيل المثال لا الحصر.

نبدأ بعرض أمثلة للآيات التي وردت فيها البشارة على أصلها، ونعني بذلك استعمالها في الخير والسرور، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[41].

وردت البشارة في هذه الآية للذين آمنوا وعملوا الصالحات، مؤكدة جزاءهم الذي أعده الله لهم نظير إيمانهم وعملهم الصالح، ليرغب فيهما وليرهب من ضدهما.

وقد أوضح الزمخشري طريقة القرآن في تصريف هذه الدلالة، فقال: «من عادته ـ عز وجل ـ في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالإنذار، إرادة التنشيط لاكتساب ما يزلف، والتثبيط عن اقتراف ما يتلف.

فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب، قفَّاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي، وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب»[42].

وتبعه أبو حيان فقال: «ومناسبة قوله: ﴿وبشر﴾ لما قبله ظاهرة، وذلك أنه لما ذكر ما تضمن ذكر الكفار وما تؤول إليه حالهم في الآخرة، وكان ذلك من أبلغ التخويف والإنذار، أعقب ما تضمن ذكر مقابليهم وأحوالهم، وما أعده الله لهم في الآخرة من النعيم السرمدي، وهكذا جرت العادة في القرآن غالباً متى

---

(41) سورة البقرة، الآية: 25.

(42) الكشاف 1/ 252.

جرى ذكر الكفار ومالَهُم، أعقب بالمؤمنين ومالَهُم، وبالعكس؛ لتكون الموعظة جامعة بين الوعيد والوعد، واللطف والعنف؛ لأن من الناس من لا يجذبه التخويف ويجذبه اللطف، ومنهم من هو بالعكس»[43].

ويلاحظ أن الآية الكريمة تقرن في حق المؤمنين بين الإيمان والعمل الصالح، فليس الإيمان بالقلب والإعلان باللسان مغنيين عن العمل الصالح، وهو الدليل الوحيد على الإيمان، إن الإيمان عمل القلب، ولا يعلم ما في القلوب إلا الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علماً، وإن هذا الإيمان القلبي بحاجة إلى الدليل على صحته والشاهد على صدقه، ولا يكون ذلك إلا بعمل الجوارح الصالح.

إن العمل الصالح ينبغي أن يريد المرء به وجه الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإلا كان رياء، والرياء نوع من الشرك الخفي.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يقبل من الأعمال الصالحة إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم، فينبغي أن يريد المؤمن بأعماله الصالحة وجه ربه الأعلى[44].

وجاءت البشارة السارة دالة على الصبر عند المصيبة، في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[45].

ووردت دالة على التقوى والإيمان بالبعث والجزاء، فقال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[46].

وجاءت دالة على جزاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله

---

(43) البحر المحيط 1/ 252 وانظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تأليف نظام الدين النيسابوري تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط الأولى 1381هـ/ 1962م، 1/ 209.

(44) تأملات في سورة البقرة حسن محمد باجودة، دار مصر للطباعة 1410هـ. 1/ 214 ـ 215.

(45) سورة البقرة، الآيتان: 155 و156.

(46) سورة البقرة، الآية: 223.

بأموالهم وأنفسهم، فقال الله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[47].

وجاءت دالة على جزاء القتال في سبيل الله، فقال الله تعالى: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[48].

ذكر أبو السعود أن في قوله تعالى: ﴿فاستبشروا﴾ التفاتاً إلى الخطاب تشريفاً لهم على تشريف، وزيادة لسرورهم على سرور، والاستبشار إظهار السرور.

والسين فيه ليس للطلب كاستوقد وأوقد، والفاء لترتيب الاستبشار أو الأمر به على ما قبله، أي فإذا كان كذلك فسروا نهاية السرور، وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة.

وإنما قيل: ﴿ببيعكم﴾ مع أن الابتهاج به باعتبار أدائه إلى الجنة: لأن المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع، وإنما لم يذكر العقد بعنوان الشراء؛ لأن ذلك من قبل الله ـ سبحانه ـ لا من قبلهم، والترغيب إنما يكون فيما يتم من قبلهم[49].

وأما استعمال هذه الدلالة في غير معناها الأصلي، ونعني بذلك استعمالها في الشر، فقد ورد في غير ما آية مراداً به التبكيت، فورد منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[50] وقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[51] وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[52]. وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[53].

---

(47) سورة التوبة، الآية: 21.

(48) سورة التوبة، الآية: 111.

(49) إرشاد العقل السليم 4/ 106.

(50) سورة آل عمران، الآية: 21.

(51) سورة النساء، الآية: 138.

(52) سورة التوبة، الآية: 3.

(53) سورة التوبة ، الآية: 34.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[54].

وقوله تعالى: ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[55].

وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾[56].

وردت هذه الدلالة المراد بها التبكيت في الآية الأولى دالة على الترهيب عن الكفر بآيات الله تعالى لمن كان في زمان النبي ﷺ، وهو يدل على أن المراد معاصروه لا آباؤهم، فيكون إطلاق قتل الأنبياء مجازاً؛ لأنهم لم يقتلوا أنبياء، لكنهم رضوا ذلك وراموه[57].

ولست مع أبي السعود فيما يراه من تكرار الفعل ﴿ويقتلون﴾ في هذه الآية؛ لأن القتل الذي ورد الترهيب عنه الأول: قتل الأنبياء، والثاني: قتل الذين يأمرون بالعدل، والذي أشار إليه أبو السعود بالتفاوت بين القتلين[58].

وقد وردت هذه الآية الثانية دالة على الترهيب عن النفاق، وبيان جزاء المنافقين، والخطاب للرسول ﷺ وجاء بلفظ (بشر) على سبيل التهكم بهم[59].

وجاءت في الآية الثالثة ترهب من الشرك، وترغب في التوبة، والالتفات في قوله تعالى: ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التهديد والتشديد[60].

---

(54) سورة لقمان، الآية: 7.
(55) سورة الجاثية، الآية: 8.
(56) سورة الانشقاق، الآيات: 22 ـ 24.
(57) البحر المحيط 2/ 429 ـ 430.
(58) إرشاد العقل السليم 2/ 19.
(59) البحر المحيط 3/ 388 ـ 389.
(60) إرشاد العقل السليم 4/ 42.

وجاءت في الآية الرابعة دالة على الترهيب من أكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله، وجمع الذهب والفضة دون أداء زكاتها.

وجاءت في الآية الخامسة دالة على الترهيب من التكبر عن آيات الله.

وجاءت في الآية السادسة أيضاً دالةً على الترهيب من التكبر عن آيات الله تعالى، بيد أن الذي يفرق بينها وبين الآية السابقة هو الاختلاف في بعض المفردات والدلالات المعنوية، واختلاف سوابق الآيات ولواحقها، الأمر الذي ينفي صفة التكرار عنهما، ويطبعهما بطابع التنويع.

والذي نلحظه في أن آية لقمان بدأت بالشرط متبوعاً بالفعل الدال على تجدد التلاوة واستمرارها، ثم أضيفت الآيات إلى ضمير العظمة.

ثم أخبر بتوليه مستكبراً، مشبِّهاً توليه واستكباره بعدم السماع.

وأما آية الجاثية، فبدأت بالفعل المضارع الدال على سماع الآيات وتجدده، متبوعاً بإضافة الآيات إلى اسم الجلالة ثم جاء بالفعل الدال على تجدد التلاوة عليه واستمرارها، ثم عطف عليه الفعل المضارع الدال على إصرار الاستكبار وتجدده، غير مفكر في هذه الآيات التي عجزوا عن الإتيان بمثلها في أسلوبها ونظمها، وفي تشريعها وأحكامها، وكل ما احتوته من الأوامر والنواهي، مشبهاً إصراره على الاستكبار بعدم السماع، وفي هذا التشبيه من اللوم والتوبيخ ما لا يخفى؛ لأن من يسمع هذه الآيات المعجزة لا بد أن يؤمن بها، وأما من يُصِرُّ على استكباره عنها فمثله مثل الذي لم يسمعها.

وجاءت الآية السابعة للدلالة على الترهيب من الكفر بالقرآن الكريم الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأهوالها مع تحقق موجبات تصديقه[61].

والذي نريد أن نشير إليه في هذا المقام أن هذه الدلالة الدالة على التبكيت وإن اتفقت في نوع الجزاء، وهو العذاب الأليم، فقد اختلفت هذه الدلالة في

(61) إرشاد العقل السليم 9/ 134.

سياقها الواردة فيه وانتظامها داخل السياق، وما حققته من مقاصد، هي مراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ من تصريفها.

يتضح لنا من العرض السابق أن دلالة البشارة تتصرف في القرآن الكريم كثيراً دالة على الخير وهو السرور والابتهاج تارة، وتارة أخرى ترد لتبكيت الكافرين وترهيب غيرهم لئلا يسلكوا سبيلهم.

إن هذه الدلالة وغيرها تدل على التنويع البديع، الذى ينبئ عن روعة القرآن الكريم وسر إعجازه.

كما أن هذه الدلالة تحقق مقاصدها تبعاً لسياقها الواردة فيه، ولاختلاف أسباب نزول الآيات التي هي منها، ولاختلاف مفرداتها ومعانيها.

إن هذا التنويع العجيب هو ما نجده أيضاً في دلالة النذارة التي تقابلها على سبيل التضاد.

2 ـ دلالة النذارة وتنوعها:

يرد لفظ النذارة في القرآن الكريم كثيراً، محققاً مقاصد ترتبط بعلاقته في السياق.

والإنذار: إخبار فيه تخويف، وهو أكثر استعمالاته[62].

ومن ثم فإننا سنكتفي بإيراد بعض الأمثلة التي تبين تصريف هذه الدلالة، وتنفي صفة التكرار عنها.

وقد ورد الإنذار دالاً على أن القرآن الكريم متضمن للوعيد، وفيه أيضاً دلالة على إثبات التوحيد، والنبوة والرسالة، فقال الله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[63].

---

(62) المفردات في غريب القرآن ص 487 والمصباح المنير للفيّومي، اعتنى بها يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية بيروت، ط الأولى 1417هـ/ 1996م ص 308 مادة: نذر.

(63) سورة الأنعام، الآية: 19.

وقريب منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾[64].

وقد ورد دالاً على إنذار أهل مكة، وإنما ذكر باسمها المنبئ عن كونها أعظم القرى شأناً وقبلة لأهلها قاطبة، إيذاناً بأن إنذار أهلها أصل مستتبع لإنذار أهل الأرض كافة[65].

فقال الله تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[66].

ونظيره قوله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[67].

وهو من التنويع لا من التكرار، نلحظه في اختلاف سوابق الآيتين ولواحقهما.

وقد ورد دالاً على الغاية التي أنزل القرآن من أجلها فقال الله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[68].

وجاء دالاً على مهمة الرسول ﷺ فقال الله تعالى: ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[69].

وقد ورد دالاً على الترهيب من عبادة غير الله تعالى، فقال ـ عز وجل ـ: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[70].

يتبين لنا مما سبق أن دلالة الإنذار تنوعت تنوعاً كبيراً محققة مقاصد متنوعة أيضاً، تبعاً لسياقها في الآية، وتتمثل في إثبات الإيمان والتحذير من الكفر وعواقبه، وذلك بالترغيب في الأول والترهيب من الثاني.

---

(64) سورة الأنبياء، الآية: 45.

(65) إرشاد العقل السليم 3/ 162.

(66) سورة الأنعام، الآية: 92.

(67) سورة الشورى، الآية: 7.

(68) سورة الأعراف، الآية: 2.

(69) سورة الأعراف، الآية: 188.

(70) سورة هود، الآية: 2.

ثالثاً ـ دلالة لفظ سوف وتنوعه:

استعمل القرآن الكريم لفظ (سوف) الدال على المستقبل[71] في الترغيب والترهيب، وهو الذي يفهم من سياقه في الآية واقترانه بنوع الجزاء، فإن كان حسناً فهو للترغيب في فعل الطاعات، وإن كان بعكس ذلك فهو للترهيب من فعل المنكرات واجتنابها.

ونظراً لكثرة ورود هذا اللفظ وتنوعه في القرآن الكريم، فإننا سنكتفي بإيراد بعض الأمثلة الدالة على الترغيب والترهيب، مُقَسَّمةً إياها إلى قسمين؛ فالأول نجعله لورود هذا اللفظ في الترغيب، وأما الثاني فنخصصه لوروده في الترهيب.

1 ـ دلالة لفظ سوف على الترغيب:

أظهر الاستقراء الكامل للفظ سوف الدال على الترغيب والترهيب أن استعماله في الترهيب أكثر من استعماله في الترغيب، وقد بلغ استعماله في الترغيب في عشر آيات[72] نوردها على الترتيب:

إذ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[73].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[74].

وقال الله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[75].

---

(71) سوف حرف يخصص أفعال المضارعة بالاستقبال ويجردها عن معنى الحال (المفردات ص 249 مادة سوف).

(72) انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم تأليف: محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث القاهرة 1392هـ/ 1972م، ق.1. ج 2/ 177 ـ 178.

(73) سورة النساء، الآية: 74.

(74) سورة النساء، الآية: 114.

(75) سورة النساء، الآية: 146.

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[76].

وبتأمل هذه الآيات الكريمة نجد أن لفظ سوف جاء في كل مرة مرغباً في نوع من العمل، ومقروناً ببيان جزائه، كما هو واضح في سياق الآية الوارد فيها هذا اللفظ.

إن ورود هذا اللفظ في أكثر من آية لا يعني أنه مكرر، وذلك لاختلاف الأساليب والمعاني المنتظم معها هذا اللفظ، بل يعني التنويع البديع، والتصريف العجيب، الذي نلحظه في المعاني المختلفة المرغب فيها.

ففي الآية الأولى يرغب في القتال في سبيل الله، ويَعِد الممتثلين بالأجر العظيم، وذلك ما أشار إليه أبو حيان، إذ قال: «ثم وعد من قاتل في سبيل الله بالأجر العظيم»[77].

وأما في الآية الثانية فقد رغب في الصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس، مقروناً ببيان الجزاء.

وأما في الآية الثالثة فقد جاء دالاً على الترغيب في التوبة، والإصلاح والاعتصام بالله تعالى والإخلاص لدين الله ـ عز وجل ـ.

وأما في الآية الرابعة فقد ورد دالاً على الترغيب في الإيمان بالله ورسله، وعدم التفريق بينهم.

ومن ثم نستطيع القول: إنه لا يوجد تكرار في هذه الدلالة، وإنما جاءت في كل مرة، مرغبة في عمل معين، ومبينة جزاءه، تبعاً لسياقها الواردة فيه، ولانتظامها داخل السياق.

2 ـ دلالة لفظ سوف على الترهيب:

استعمل القرآن الكريم لفظ سوف في الترهيب، وذلك بقصد اتباع الأوامر التي أمر بها الله ـ سبحانه وتعالى ـ واجتناب النواهي التي نهى عنها.

---

(76) سورة النساء، الآية: 152.

(77) البحر المحيط 3/ 307.

وقد وردت بطرائق شتى وانتظمت في أساليب مختلفة، محققة في كل مرة مقصداً من المقاصد المراد الترهيب منها.

إن دلالة لفظ سوف على الترهيب أكثر وروداً في القرآن الكريم ـ كما قلنا فيما سبق ـ.

وقد أظهر الاستقراء الكامل، أنها وردت في ثمان وعشرين موضعاً، نورد منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[78] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾[79] وقوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[80] وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[81].

وقوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[82].

جاء تنوعُ لفظ سوف في هذه الآيات وفي غيرها دالاً على الترهيب الشديد، مقترناً بنوع الجزاء.

إن هذا اللفظ وإن ورد في مواضع متفرقة من القرآن الكريم، فقد جاء في كل مرة يرهِّب من مخالفة معينة، من مخالفات الشرع الحكيم، التي حرمها أو أمر باجتنابها والبعد عنها.

وإن ما يرد في هذه غير الذي يرد في تلك، وذلك تبعاً لموقع هذا اللفظ في السياق، ولمقتضيات الأحوال، وهو ما نلحظه فيما يدل عليه هذا اللفظ في الآيات السابقة.

إذ ورد في الآية الأولى دالاً على الترهيب من أكل الأموال بالباطل، وقتل النفس، مقترناً بنوع الجزاء.

---

(78) سورة النساء، الآية: 30.

(79) سورة النساء، الآية: 56.

(80) سورة المائدة، الآية: 14.

(81) سورة الأنعام، الآية: 6.

(82) سورة الأنعام، الآية: 67.

وأما في الآية الثانية فقد ورد دالاً على الترهيب الشديد من الكفر بآيات الله تعالى مقترناً بنوع الجزاء.

وأما في الآية الثالثة فقد ورد يرهِّب من قبائح النصارى وجناياتهم للبعد عن سلوك سبيلهم.

وهو وعيد شديد بالجزاء والعذاب، وسوف لتأكيد الوعيد، والالتفات إلى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة، وإدخال الروعة لتشديد الوعيد، والتعبير عن العمل بالصنع للإيذان برسوخهم في ذلك، وبالمجازاة بالتنبئة للتنبيه على أنهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الأعمال السيئة واستتباعها للعذاب، فيكون ترتيب العذاب عليها في إفادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الإخبار بها[83].

وأما في الآية الرابعة فقد ورد دالاً على الترهيب من الكفر بالنبوة والرسالة.

وأما في الآية الخامسة فقد ورد دالاً على الترهيب من التكذيب بالعذاب الموعود، أو بالقرآن الكريم الناطق بمجيئه[84].

وقد اقترن هذا اللفظ بالعلم، وهو الكثير الغالب على هذه الدلالة، والذي أشار إليه أبو السعود بالإنصاف في المقال والتنبيه على كمال وثوق المنذر بأمره[85].

يتبين لنا مما سبق أن لفظ سوف الدال على الترهيب الشديد، قد تنوع تنوعاً بديعاً، ينبئ عن عظمة القرآن الكريم وسر إعجازه.

إن ما لاحظناه في هذه الآيات وفي غيرها هو التصريف العجيب، الذي لا تكرار فيه، لا في المعاني ولا في الأساليب.

إن هذه الدلالة قد وردت في كل مرة دالة على معنى غير المعنى الآخر، تبعاً لموقعها في السياق وانتظامها فيه.

---

(83) إرشاد العقل السليم 3/ 17.

(84) نفسه ص146.

(85) نفسه ص188.

رابعاً ـ دلالة لفظ كَلاَّ وتنوعه:

استعمل القرآن الكريم لفظ كلا للدلالة على الترهيب، مما اقترن به، منوعاً بيانه تنويعاً عجيباً، والمراد منه الردع والزجر وإبطال لقول القائل، وذلك نقيض إيْ في الإثبات[86].

وقد ورد هذا اللفظ في ثلاثة وثلاثين موضعاً من خمس عشرة سورة كلها في النصف الثاني.

سئل جعفر بن محمد عن كَلاَّ لِمَ لَمْ تقع في النصف الأول منه؟ فقال: لأن معناها الوعيد، فلم تنزل إلا في مكة إيعاداً للكفار[87].

قال الزمخشري: «كَلاَّ ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه، وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه»[88].

وتبعه أبو حيان فقال: «ردعٌ لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه، وإن لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه»[89].

ونظراً لكثرة الآيات التي وردت في هذه الدلالة فإننا سنكتفي بإيراد بعضها على سبيل المثال لا الحصر؛ لنتبين منها تصريف هذا اللفظ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾[90].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[91].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[92].

---

(86) المفردات ص441 مادة: كلاّ.

(87) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق.ا.ج 2/ 385.

(88) الكشاف 4/ 271.

(89) البحر المحيط 8/ 489.

(90) سورة مريم، الآية: 79.

(91) سورة مريم، الآية: 82.

(92) سورة المؤمنون، الآية: 101.

إن الذي يتأمل هذه الآيات، يلاحظ أن لفظ كَلَّا ورد دالاً على الترهيب من مخالفة من مخالفات الشرع الحكيم، التي حرمها أو أمر باجتنابها، والتي يفهم من دلالتها في السياق المنتظمة فيه هذه الدلالة، بمعنى أن لكل آية مما ورد فيها هذا اللفظ لها ظلالها الإيحائية الخاصة، التي جعلتها أكثر من الأخرى ملاءمة لموقعها في سياق الآية، يظهر ذلك واضحاً من الآيات السابقة التي جعلناها أمثلة لتصريف هذه الدلالة.

فمن ذلك نجد أن لفظ ﴿كَلَّا﴾ ورد في الآية الأولى دالاً على الترهيب من سلوك سبيل الذي نزلت فيه هذه الآية، وهو العاص بن وائل، فيما نقله ابن عطية عن جمهور المفسرين[93].

وقد جاء هذا اللفظ ردعاً له عن التَفَوُّهِ بتلك العظيمة وتنبيهاً على خطئه[94].

وأما في الآية الثانية فقد ورد دالاً على الردع عن الاعتقاد الباطل، وهو اتخاذ الآلهة من دون الله ـ تعالى ـ مبيناً أن هذه الآلهة ستجحد عبادتهم إياها، وتكون لهم ضداً.

وأما في الآية الثالثة فقد ورد ردعاً عن طلب الرجعة واستبعاداً لها[95] ترهيباً من سلوك سبيل الكافرين.

وحريٌّ بنا في هذا المقام، أن نقف عند أكثر الآيات تشابها، الوارد فيها لفظ ﴿كَلَّا﴾ في سياق واحد وذلك في سورتي النبأ والتكاثر.

وقد وجهه أصحاب المتشابهات والمفسرون بالتكرار للمبالغة في التأكيد والتشديد، وللدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ وأشد.

فهذا الكرماني يقول: «قيل: التكرار للتأكيد، وقيل الأول للكفار والثاني

---

(93) المحرر الوجيز 4/ 30.

(94) إرشاد العقل السليم 5/ 279.

(95) نفسه 6/ 150.

للمؤمنين، وقيل: الأول عند النزع، والثاني في القيامة، وقيل الأول ردع عن الاختلاف، والثاني عن الكفر[96].

وتبعه ابن الزبير، سائلاً عن تكرار التهديد وفائدته في سورة النبأ، ثم أجاب عن ذلك أن العرب متى تهممت بشيء أرداته لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيداً، وكأنه يقيم تكراره مقام القسم عليه، والاجتهاد في الدعاء عليه حيث يقصد الدعاء، وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكأنَّ مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة، وعلى ذلك يجري ما ورد من هذا الوعيد[97].

وأما ابن جماعة فقال: «ما فائدة التكرار هنا وفي التكاثر، جوابه: إما توكيد للخبر، أو ستعلمون ما تلقون في الآخرة»[98].

وذهب الزمخشري وأبو السعود إلى أن تكرير الردع، مع الوعيد تشديد في ذلك، وأن (ثُمّ) للإشعار بأن الوعيد الثاني أبلغ من الأول وأشد[99].

وذهب ابن عطية إلى أن ظاهر الكلام أنه رد على الكفار في تكذيبهم، ووعيد لهم في المستقبل، وكرر الزجر تأكيداً.

ونقل عن الضحاك أن المقصود بقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[100] الكفار على جهة الوعيد، وبقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[101] المؤمنين على جهة الوعد[102].

---

(96) البرهان في متشابه القرآن للكرماني، تقديم ومراجعة: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، دار الوفاء المنصورة، ط الأولى 1411هـ/ 1991م ص355 ـ 356.

(97) ملاك التأويل 2/ 940.

(98) كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لبدر الدين بن جماعة، تحقيق وتعليق: عبد الجواد خلف، منشورات جامعة الدراسات الإسلامية باكستان ط الأولى 1410هـ/ 1990م ص 371.

(99) الكشاف 4/ 207 وإرشاد العقل السليم 9/ 86.

(100) سورة النبأ، الآية: 4.

(101) سورة النبأ، الآية: 5.

(102) المحرر الوجيز 5/ 424.

وقال أبو حيان: «وهذا التكرار توكيد في الوعيد»[103].

إن الذي نراه هو تصريف للبيان القرآني لا تكرار فيه، لأن الردع والوعيد الأول غير الثاني، سواء من حيث أبلغيته وشدته كما ذهب إليه هؤلاء المفسرون، أو من حيث دخول ثم عليه التي تفيد العطف مع التراخي، دلالة على أن هذا الوعيد سيتحقق لا محالة، وفي أجل يعلمه الله ـ عز وجل ـ ذلك أن الآية الثانية لما دخلت عليها ثم أصبح لها دلالة غير دلالة الأولى؛ لأن لكل حرف في القرآن الكريم دلالته الخاصة في السياق الواردة فيه.

ومما يؤكد نفي التكرار أيضاً، إذا كان المقصود بالأول غير الثاني، ما ذهب إليه الخطيب الإسكافي، إذ قال: «والجواب أن يقال: أن الأول وعيد بما يرونه في الدنيا عند فراقها من مقرهم، والثاني وعيد بما يلقونه في الآخرة من عذاب ربهم، وإذا لم يُرَدْ بالثاني ما أريد بالأول لم يكن تكراراً، وقيل الأول توعد بالقيامة وهولها، والآخر توعد بما بعدها من النار[104].

ونجدهم يوجهون آيتي سورة التكاثر بمثل توجيههم لآيتي سورة النبأ. فهذا الكرماني يقول: «قوله تعالى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبعده ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تكرار للتأكيد عند بعضهم، وعند بعضهم هما في وقتين في القبر والقيامة، فلا يكون تكراراً، وكذلك قول من قال: الأول للكفار، والثاني: للمؤمنين»[105].

وأما ابن الزبير فيسأل عن تكرير قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

ثم يجيب عنه فيقول: «إنه تهديد ووعيد، فناسبه التكرير تحقيقاً وتثبيتاً كقوله: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢﴾ و﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢﴾»[106].

وذهب الزمخشري وأبو السعود إلى أن ﴿كَلَّا﴾ في سورة التكاثر ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميل همه ولا يهتم بدينه،

---

(103) البحر المحيط 8/ 403.

(104) درة التنزيل وغرّة التأويل، للخطيب الإسكافي، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، ط الثالثة 1979م ص 516.

(105) البرهان في متشابه القرآن ص 367.

(106) ملاك التأويل 2/ 954.

وقوله تعالى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إنذار ليخافو فينتبهوا عن غفلتهم، والتكرير تأكيد للردع والإنذار عليهم، و(ثم) دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد[107].

وقال أبو حيان: «والجمهور على أن التكرير توكيد»[108].

ونقل عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في القبور ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في البعث، غاير بينهما بحسب التعلق، وتبقى ﴿ثم﴾ على بابها من المهلة في الزمان.

ونقل عن الضحاك أن الزجر الأول ووعيده للكافرين والثاني للمؤمنين[109].

أخالف هؤلاء الرأي أن في هذه الآيات وغيرها تكراراً، وإنما هو تنويع للبيان القرآني، مراد به التأكيد، ذلك أن الآية الأولى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد ووعيد.

وأما في الآية الثانية، فقد أكد هذا التهديد وبين أنه سيتحقق حتماً، بالانتقال من الأولى إلى الثانية بثم التي تفيد العطف مع التراخي دلالة على تحقق الوعيد، وبخاصة إذا أخذنا بتفسير من يرى أن الأولى غير الثانية، وهو الأقرب إلى الصواب.

ومما يؤكد ذلك ما ذهب إليه الخطيب الإسكافي حين رأى أن أحدهما توعد غير ما توعد به الآخر، فالأول توعد بما ينالهم في الدنيا، والثاني توعد بما أعد لهم في الأخرى، وقيل: الأول ما يلقونه عند الفراق إذا بُشِّروا بالمصير إلى النار.

والثاني ما يرونه من عذاب القبر، فكلاهما عذاب في الدنيا، إلا أن

---

(107) الكشاف 4/ 281 وإرشاد العقل السليم 9/ 195.

(108) البحر المحيط 8/ 806.

(109) نفسه.

أحدهما غير الآخر، وهو مثله في الشدة، فذلك أعيد بتلك اللفظة، وإذا حمل على عذاب الدنيا والآخرة لم يكن تكراراً[110].

إن ما ذهب إليه الخطيب الإسكافي توجيه صائب ورأي سديد لائق بكتاب الله تعالى.

يتضح مما سبق أن هذا اللفظ ورد في كل مرة دالاً على معنى غير ما ذكر في الآيات الأُخَر، وأن هذه المعاني قد انتظمت من خلال فروق يدل عليها السياق، وأسباب النزول.

ومن ثَمَّ نستطيع القول: إنه لا يوجد تكرار في هذه الدلالة وفي غيرها.

خامساً ـ دلالة لفظ: وَيْلٌ، وتنوعه

استعمل القرآن الكريم لفظ ﴿ويل﴾ دالاً على الترهيب في سبع وعشرين آية، مقترناً في كل مرة بمعنى من المعاني غير التي في غيره، وهو مما يدل على التصريف البديع والتنويع العجيب، الذي تميز به القرآن الكريم، ولفظ (ويل) له أكثر من دلالة، إذ قال الراغب فيما نقله عن الأصمعي: «ويل قبح، وقد يستعمل على التحسر، وويس استصغار، وويح ترحم، ومن قال ويل وادٍ في جهنم فإنه لم يرد أن ويلاً في اللغة هو موضوع لهذا، وإنما أراد: مَنْ قال الله تعالى ذلك فيه فقد استحق مقراً من النار، وثبت ذلك له»[111].

وقال القرطبي: «اخْتُلِفَ في الويل، فعن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ: «أنه جبل من نار» وروى أبو سعيد الخدري: أن الويل وادٍ في جهنم بين جبلين، يهوي فيه الهاوي أربعين خريفاً.

وروى سفيان وعطاء بن يسار، أن الويل في هذه الآية:[112] واد يجري بفناء جنهم من صديد أهل النار، وقيل: صهريج في جنهم.

---

(110) درة التنزيل ص535.

(111) المفردات في غريب القرآن ص 535 مادة: ويل.

(112) يعني قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: 78].

وحكى الزهراوي عن آخرين: أنه باب من أبواب جنهم، وعن ابن عباس: الويل المشقة من العذاب، وقال الخليل: الويل شدة الشر، الأصمعي: الويل تفجع، والويح ترحم، سيبويه: ويل لمن وقع في الهلكة، وويح زجر لمن أشرف على الهلكة[113].

ونظراً لكثرة الآيات الوارد فيها هذا اللفظ، فإننا سنكتفي بإيراد بعض الأمثلة التي تثبت ما ذهبنا إليه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[114].

وقوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[115].

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[116].

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[117].

إن المتأمل في هذه الآيات الكريمة يجد أن هذا اللفظ قد ورد في الآية الأولى دالاً على الترهيب والتحذير من التبديل والتغيير والزيادة في الشرع.

وأما في الآية الثانية فقد ورد دالاً على الترهيب من الكفر بالكتاب العزيز، وهو ما ذهب إليه أبو السعود، إذ قال: «وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات إلى النور بالويل»[118].

وأما في الآية الثالثة فقد ورد دالاً على الترهيب من سلوك سبيل الكافرين من اليهود والنصارى واختلافهم في أمر عيسى ـ عليه السلام ـ.

---

(113) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، دار الشام للتراث، بيروت، ط الثانية د ت، 2/ 7.

(114) سورة البقرة، الآية: 79.

(115) سورة إبراهيم، الآية: 2.

(116) سورة مريم، الآية: 37.

(117) سورة الأنبياء، الآية: 18.

(118) إرشاد العقل السليم 5/ 31.

وأما في الآية الرابعة فقد ورد وعيداً لقريش بأن لهم أيضاً مثل ما لأولئك من العذاب والعقاب من أجل وصفهم الله ـ سبحانه ـ بما لا يليق بشأنه الجليل، أو بالذي يصفونه به من الولد أو كائناً مما يصفونه به[119].

وأما ما ورد من ذكر هذا اللفظ في سورة المرسلات عشر مرات، مقترناً بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[120] فلا يعني التكرار كما ذهب إلى ذلك بعض من وجَّه هذه الآيات، بل يعني التصريف البديع والتفنن العجيب، الذي يدل عليه السياق الوارد فيه هذا اللفظ.

فهذا ابن الزبير يقول: «للسائل أن يسأل عن تكريرها عشر مرات، و ن الترتيب فيما تخلل متكرر هذه الآية من الآيات، وإبداء الفائدة في كل منها واختصاصها بموضعها[121].

ونعجب من الكرماني، إذ يقرر تكرار هذه الآية مع تعليله بأن كل احدة منها ذكرت عقيب آية غير الأولى، إذ يقول: «قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ مكرر في السورة عشر مرات؛ لأن كل واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الأولى، فلا يكون تكراراً مستهجناً، ولو لم يكرر كان متوعداً على بعض دون بعض.

وقيل: لأن من عادة العرب التكرار والإطناب، كما من عادتهم الاختصار والإيجاز؛ ولأن بسط الكلام في الترغيب والترهيب أدعى إلى إدراك البغية من الإيجاز[122].

إن الذي يبدو واضحاً أن هؤلاء العلماء لم يهتدوا إلى المصطلح المناسب، وهو تصريف القول، إذ يحاولون نفي التكرار ويشيرون إلى التصريف

---

(119) نفسه 6/ 60.

(120) سورة المرسلات، الآيات: 15، 19، 24، 28، 34، 37، 40، 45، 47، 49.

(121) ملاك التأويل 2/ 936.

(122) البرهان في متشابه القرآن ص355.

دون التصريح به، كما ذكر الكرماني في تعليله السابق ـ وبخاصة ـ حين قال: «لأن كل واحد منها ذكرت عقيب آية غير الأولى».

وقد ألمح إليه الخطيب الإسكافي، إذ قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ردف كلام يدل على ما يجب تصديقه وترك التكذيب به، وكانت المعاني مختلفة، سلم من التكرار»[123].

فإذا كانت كل واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الأولى، كما صرح بذلك الكرماني، وكانت المعاني مختلفة كما أشار إلى ذلك الخطيب الإسكافي فلا وجه للتكرار، وهو الذي نراه، ويؤيد ذلك ما ذهب إليه أبو السعود، في توجيهه الآية الأولى، إذ قال: «وهو وعيد لكفار مكة، والثانية للمكذبين بآيات الله ـ تعالى ـ وأنبيائه، وليس فيه تكرير، لما أن الويل الأول لعذاب الآخرة، وهذا لعذاب الدنيا[124].

إن ما ذهب إليه أبو السعود رأي صائب يتفق والبيان القرآني، وسِرِّه البديع.

ونضيف إلى ما بينه أن الآية الثالثة وردت للترهيب من التكذيب بقدرة الله ـ تعالى ـ على الإعادة[125].

وأما الآية الرابعة فقد وردت للترهيب من التكذيب بالنعم العظيمة التي أنعم الله بها على خلقه. وأما الآية الخامسة والسادسة فقد وردتا للترهيب من التكذيب بيوم البعث والجزاء.

وأما الآية السابعة فقد وردت لترهيب الكافرين على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار لعجزهم[126].

وأما الآية الثامن فقد وردت للترهيب من العذاب المخلد الوبيل، تذكيراً

---

(123) درة التنزيل ص515.

(124) إرشاد العقل السليم 9/ 79.

(125) إرشاد العقل السليم ص80.

(126) نفسه 9/ 82.

للكافرين بحالهم في الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد[127]. وأما الآية التاسعة فقد وردت لزيادة التقريع والتوبيخ.

وأما الآية العاشرة فقد وردت للترهيب من الاستكبار عن طاعة الله، والتواضع له وحده.

يتضح لنا من العرض السابق أنه لا تكرار في هذه الدلالة لا في سورة المرسلات ولا في غيرها من السور الأخر، وإنما هو التنويع البديع، والتصريف العجيب، الذي يرجع إلى اختلاف المعاني والأساليب المقترنة معها هذه الدلالة.

وتبين لنا أيضاً أن القرآن الكريم قد تفنن وأبدع في تصريف هذه الدلالات؛ لتحقيق مقاصده المختلفة ترغيباً وترهيباً، إذ يستعمل كلاً منها في موضعه المناسب.

وأن تلك الدلالات لا تكرار فيها، بل تنويع بديع، ينبئ عن عظمة هذا الكتاب وسر إعجازه، الذي يرجع إلى اختلاف السياق الواردة فيه هذه الدلالات، وما بينها من فروق تظهر للمتأمل فيها.

كما أن هذه الدلالات تحقق مقاصدها تبعاً لسياقها الواردة فيه؛ ولاختلاف أسباب نزول الآيات التي هي منها؛ ولاختلاف مفرداتها ومعانيها.

وأن وصف هذه الآيات وغيرها بالتكرار هو استعمال خاطئ لا ينبغي أن يوصف به آيات كتاب الله ـ تعالى ـ ذلك أن الذي يعمق نظره في تلك الآيات المتشابهة يجد أنها جزء لا ينفصل عن الآيات التي تندرج فيما سماه القرآن الكريم بالتصريف، لا تكرار فيها، ولا بينها.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(127) نفسه.